

أضواء البيان

@ 29 @ بد في هذا البعض من مزيد مزية للمعنى المساق فيه الكلام . .

فمثلاً هنا ذم الكذب وأخذ الكاذب بكذبه ، فجاء ذكر الناصية وهي مقدم شعر الرأس ، لأنها أشد نكارة على صاحبها ونكالاً به ، إذ الصدق يرفع الرأس والكذب ينكسه ذلة وخزياً . .
فكانت هي هنا أنسب من اليد أو غيرها ، بينما في أبي لهب تناول بماله ، والغرض مذمة ماله وكسبه الذي تناول به ، واليد هي جارحة الكسب وآلة التصرف في المال ، فكانت اليد أولى فيه من الناصية . .

وهكذا كما يقولون : بث الأمير عيونه : يريدون جواسيس له ، لأن العين من الإنسان أهم ما فيه لمهمته تلك . ولم يقولوا : بث أرجله ولا رؤوساً ولا أيد ، لأنها كلها ليست كالعين في ذلك . .

ومن هذا القبيل { قُلُوبُ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ } ، { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ } . .

لأن القلب هو مصدر الخوف والنفس هي محط الطمأنينة ، على أن النفس جزء من الإنسان ، وهكذا ، ومنه الآتي { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } ، أطلق السجود وأراد الصلاة ، لأن السجود أخص صفاتها . { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } . ربط بين السجود والاقتراب من الله كما قال : { وَمِنَ الَّذِينَ فَاسَجِدُوا لَهُمْ وَسَبَّحُوهُ لَيْلًا طَوِيلًا } وقوله : في وصف أصحابه رضي الله عنهم : { تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا } ، فقوله : { يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا } ، في معنى يتقربون إليه بعبادته : { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } . .

وهذا مما يدل لأول وهلة أن الصلاة أعظم قرينة إلى الله ، حيث وجه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم من أول الأمر ، كما بين تعالى في قوله : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ } . .

وقال صلى الله عليه وسلم : (أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد) .